

# 2

أول سطور في التاريخ

7000 قبل الميلاد - 6800 قبل الميلاد



تقول حواء:

«تسألونني وعيونكم لا تقابل عيوني، عشت معكم أتحاشى الحديث عن هذا حتى بدأت أجد في أنظاركم لومًا واتهامًا. كلما شقيتم في الحياة أي شقاء ترمونني بتلك النظرة الصامتة، أيمنعكم الحياء أن تقولوها؟ قولوا يا أمنا إن العلة فيك، أخرجت أبانا وأخرجتنا من النعيم، قولوها وارحموني من هذه النظرات، وإن أجيالاً بعدكم ستلعنني، لكن لا أحد منكم يعلم الحقيقة، أنا وحدي لديّ الحكاية، فخذ يا ولدي واكتب حديثي هذا ولا تغفل، واحفظ هذه الألواح كما تحفظ روحك، لعل أبنائي يعلمون.

كهف مظلّم ضيق يا ولدي كالقبر دَفَعْنَا فيه ملك الموت ونحن نرجف كالطير بلا حيلة، وننظر إلى وجهه الذي انكشف لأول مرة بين ظلمات ردائه الأسود، وإن مجرد رؤيته هو أشد هولاً من أفزع شيء رآته عينك، ولقد مكثت عشرات السنين أحاول نسيان هذا الوجه الذي رأيته في لمحة واحدة من الزمن، وليس منكم من أحد إلا سيراه حين يأتي ليقبض الروح، فاعملوا يا ولدي لأجل هذا، فإنه لمأمور بعدم الرحمة. حانت منا نظرة أخيرة إلى الجنة وسماء الجنة، لكنه أغلق الحجر على الحجر فأظلمت الدنيا في وجوهنا. وإن ظلمة الروح أشد يا ولدي.

مشينا بحذر نتلمس الصخور، وكنا كلما توغلنا أكثر زادت الظلمة أكثر كأنما كنا نمضي إلى قاع جهنم، نظرتُ إلى آدم فلم يكن يظهر منه في تلك الظلمة شيء حتى شككت أنه بجانبني، مدت ذراعي حولي أبحث عنه فسكنت يدي لَمّا مسستُ يدًا دافئة بجواري، ضغطت عليها برفق، فبدت اليد أكثر حرارة عما اعتدته؛ ارتجفت يدي وأنا أستدير في الظلام ببطء، فرأيت كهيئة وجه شيطان قريبًا من وجهي، جذبت

يدي وصرخت بما تبقى في روحي من صوت. سمعت صوت آدم ينادي باسمي من موضع غير بعيد، ولم تمض لحظات حتى وضعت يدي في يده وأنا أرتجف، قلت له بصوت مختنق:

- آدم أنا.. هناك.. شيطان.

سمعتُ جسَّ آدم الدافئ وهو يقول:

- ليس للشياطين حياة في هذا المكان يا حواء، ولو كانت هنا للاذت بالفرار.

قلتُ له بحزن:

- أهو قبرنا يا آدم؟

قال لي بهدوء:

- كما أبصرت عيوننا الجن والملائكة يا حواء فإنها تبصر كل مخلوقات ربك التي تجوب القبور.

- ما الذي يجوب القبور يا آدم...

فجأة اهتزَّ المكان وعلا صوت غضب الأرض المختلط بدقات قلوبنا، فضغط آدم على يدي في قوة ومشينا بحذر حتى اعتادت عيوننا الظلام.. فأصبحنا نرى بعض الشيء، ولم يكن ما رأيناه بأحسن من الظلام، صخور بارزة ذات أشكال شيطانية تدنو من رؤوسنا، حتى إنه لو رفع أحدنا يده سيخبط الصخر، سمعنا صوت صرخات بعيدة ملتاعة متألمة، فقلت لأدم ويدي باردة كلوح الثلج:

- أسنموت هاهنا؟

سكت آدم قليلاً وهو يثبت نظره على نقطة معينة ويقول:

- بل إننا سنتمنى الموت يا حواء.

نظرتُ إلى حيثما ينظر، وعلمتُ أنه يعني كل حرف، فرغم أننا أحياء، فإن أبصارنا لم تكن كأبصاركم، بل كانت ترى كل شيء..».

\*\*\*\*\*

«المطرودون من رحمة الله لا ترحمهم الأرض إذا نزلوا في جوفها».

\*\*\*\*\*

يقول آدم:

«كنتُ أمسك بيد حواء وأنا أنظر إلى ظلين برزا من اليمين والشمال كأنما خرجا من الجدران وتحركا يقتربان منا، شددت على يد حواء الضعيفة أحتويها وأنا أترجع معها ببطء خائفًا، في اللحظة التالية كان الظلان أمام وجوهنا كأنما طويت لهما الأرض، وليس من أحد على ظهر الأرض إلا سينظر إليهما في قبره يومًا وهما ينظران إليه، طوال الشعر، سود الوجوه، شعرت أن سكوت حواء يعني موتها، فحاولت أن أقف أمامها، لكن قدمي كانت تتراجع فطريًا وأنا أنظر إلى ملامحهما، بدا وكأن جلودهما تلتصق بالوجه فيبدو غائرا، والوجنتان بارزتان.

استدرتُ بسرعة وشعرتُ بيد حواء في غاية البرودة وهي تلفظ بكلمات غير مفهومة، فأمسكتها ودفعت قدمي مبتعدًا بكل ما يحوي جسدي من عزم، وعلى الجهة الأخرى التي استدرت لها.. وجدتهما يقفان ترمقنا عيونهما البيضاء اللتان لا بؤبؤ فيهما ولا رحمة. قال أيسرهما بصوت مُرَوَّع:

- أفرارًا من الله يا آدم؟

نزلت دموعي ساخنة على وجنتي وروحي تضرب في جوانب صدري، وقلت:

- بل هو الحياء من ربي.

ولتعلم أجيالكم يا بني آدم أنه لن تَفِرَّ عين واحد منكم حتى يراها إذا نزل إلى القبر بعد أن يسمع تباعد أصوات نعال قومه، وإن اسم أحدهما المنكر، واسم الآخر النكير.

سمعنا صوت زلزلة تحت أقدامنا، بدأت الأرض ذاتها تضيق والجدران تقترب من بعضها ببطء كأنها ستفتك بنا، سمعتُ صرخة حواء بجواري وهي تفلت يدي، وبدأت حركة الأرض تبعدنا عن بعضنا، رأيتهما تمد يدها لي وتصرخ باسمي، فهتفتُ فيها بصوت غطّى عليه صوت الانهيار، بأن تدخل إلى ذلك الشق الذي بجوارها حتى لا تسحقها الجدران، وأصبحتُ أكرر عليها النداء وهي تنظر إليّ في حزن ورجاء، ثم انتبهتُ لما أقول ونظرت وراءها إلى الشق ولذت به، أما أنا فقد ظلّت الجدران تضيق عليّ حتى أصبحت الصخور تضغط على أضلاعي وليس أحد منكم يا بني آدم إلا سيضمه قبره ضمة حتى تختلف أضلاعه فيه، صالحًا كان أم طالحًا، وإني ظننت أن هذا حقًا قبرنا.

ارتفع الجزء من الأرض الذي تقف عليه حواء وهبط الجزء الذي أنا فيه إلى الأسفل مع الانهيار، وناديت باسمها فردّت عليّ تنادي بصوت ملؤه الأسى، نظرتُ حولي بعد سكوت الانهيار فوجدت أنني هبطت في موضع أوسع قليلًا من الكهف، يمتلئ بالشقوق، ناديت حواء التي لم أعد أراها، فلم ترد النداء، وظللت أنادي حتى اتسعت عيني فجأة في فزع، فخلفي كان صوت لسان مشقوق يستنشق الأجواء، نظرتُ ورائي وكدت أصرع، فمن بين أحد فرجات الكهف برز رأس أفعى رهيبة تنهش القلوب، ما نجت منها روح وقعت في فكها منذ خلق الله الأرض ومن عليها».

\*\*\*\*\*

﴿قَالَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

\*\*\*\*\*

تقول حواء:

«نفدت بقايا صوتي من النداء على آدم وحالت بيننا الصخور، كان المكان الذي أنا فيه أشد مهابة من أن أكون فيه وحدي، لكن صدمة

عيني فيما رأيت قبل لحظات تركت قلبي متجمداً لا يقدر حتى أن يخفق بالخوف، كنت في ممر طويل من تلك الصخور ذات المظهر المفجع، ويظهر في آخر الممر لهيب أحمر خافت يتوهج لا يكاد يبين، يُصدر على الصخور أثراً مقبضاً، سحبت قدمي وأنا أتوجه ناحية اللهب الخافت، وإن الخوف قد يجعل الإنسان يتحرك إلى مصدر الخوف إذا عرف أن وقوفه في موضعه يعني هلاكه. مشيت وأنا أتلمس الصخور بحذر ولم يكن ذلك اللهب يقترب أبداً مهما توجهتُ إليه، مشيت حتى تورمت قدماي واللهب يزداد ابتعاداً، لم أكن أفهم أين نحن وما هذه المكفيلة، أهي القبر أم أنها أشد بشاعة! ولم تمهلني المكفيلة لأتساءل، إذ لاح من ناحية اللهب رجل يسعى وفي يده سوط كأنه ذيل بعير.

ضرب الرجل على الجدار بالسوط ضرباً لا يوحى بأن في قلبه عقل، تصلبتُ مكاني أمسك بالصخور التي كنت أخاف من الإمساك بها، ظلَّ الرجل يقترب حتى رأيتُ وجهه.

يوجد نوع من الفهم يؤذي النفس، وذلك ما حدث معي: إذ رأيت وجه الرجل الممسوح، لم يكن هذا رجل سيسمع صراخك فيرحمك أو يرى دمك فيغفر لك».

\*\*\*\*\*

«الكافر تسلط عليه دابة في قبره، معها سوط مثل عرف البعير، تضربه ما شاء الله، صماء لا تسمع صوته فترحمه».

(حديث نبوي صحيح)

\*\*\*\*\*

يقول آدم:

«ما سألنا الأفاعي قط منذ أن وضعنا الله في الأرض، وإن الأفاعي التي تحت الأرض أشد فتكاً. كانت تلك الأفعى تتوجه إلى وجهي مباشرة وفكاها يتباعدان وتضيق عيناها، تتلجج أطرافها وأنا أنظر إليها حتى

لم يبقَ شيء بين وجهي ووجهها وشعرتُ بروحها. ووسط ذهول قلبي ودمع عيني الذي تجمد، تجاوزتني الأفعى من جواري كأنما هي تقصد شيئاً خلفي، نظرتُ برقبة متصلة إلى الأفعى فوجدتها قد دخلت إلى شق آخر من ممرات الكهف، وللمرة الأولى أنتبه إلى وجود أكثر من عشرة ممرات وتجاويف حولي، وكان هذا يعني التيه.

وقفتُ هنيهة ثم حسمتُ أمري وانطلقتُ إلى آخر مكان يمكن أن ينطلق إليه مثلي في هذا الحال؛ الشق الذي دخلت فيه الأفعى. ثلاثة أيام لباليها وأنا أجول في المكفيلة من غار إلى غار وأنا أنادي حواء كل ساعة حتى يُسْتُ، لم أجد شيئاً يؤكل حتى هزلتُ وجفَّت عروقي من العطش وكدت أهلك، وفي لحظة تَعْدِل عمري كله فرحاً وجدت مخرج الكهف ورأيت الشمس تظهر من خلاله.

خرجتُ من الكهف وطفى النور على بصري، فأصبحتُ أضع ذراعيَّ على عيني، كان ضعف جسدي يؤثر في بصري فلا أكاد أرى، تبين أنني خرجت من المكفيلة إلى أرض قاحلة رهيبة لا أدري ما اسمها، ليس فيها إلا نبات أخضر لزج ملتصق بالأرض لا يؤكل، مشيت فيها يوماً رابعاً بلا زاد، تلفحني الشمس بحرارتها حتى نزلتُ بين جبليْن، وهناك سمعت صوت مياه تجري في جدول صغير، توجهتُ لها بثقل كأن الحزن لم يترك لي موضعاً للفرح. شربت لأقيم هذا الجسد، وفجأة رأيته.. لم يكن كما عهدته بل كان أقبح، شعره صار أكثر شعثاً ووجهه أشد ضراوة وعينه أكثر بغضاً، إبليس كما أبلسه الله من رحمته، رأيته ودمعة حمراء تنزل من عينه كأنها الدماء وهو ينظر إليَّ في ثبات وفي وجهه شبح من الشماتة. ولم تمض لحظة حتى ارتجَّت الأرض كلها، وتصاعد صوت رهيب لشيء يأتي بسرعة.. بل أشياء. انطلقت عيني لما رأيته تبحث يميناً ويساراً عن مهرب بين الجبليْن، ولم يكن هناك موضع واحد للهرب، وتصاعد الغبار الآتي من بعيد ولم يلبث أن ظهرُوا، ولم يكن هناك بُدٌّ من الموت».



\*\*\*\*\*

«دواب الأرض السفلى أبصر من دواب الأرض العليا».

\*\*\*\*\*

تقول حواء:

«اكتب يا ولدي بغير زيادة ولا نقصان، في تلك الليلة سقطت أمكم وانهار فيها كل شيء تحت أرضكم هذه، لم تعد عيناى تقدران على النظر ولا قدماى على البقاء واقفتين، انهرت بركبتى على الأرض وأذناى تسمعان ضربات سوط طائشة على الجدران، سال الدمع من عيني ساخناً وأنا أرفع يدي لرب السماوات والأرض وأقول: «اللهم إننى واحدة متوحدة وأنت الأعز الأعلى، إن ابتغيت الحيلة عند سواك ذلت، بحقك يا مالك الأرضين وما فيهن، اصرف قلبي عن كل شيء سواك، وعيني عن كل شيء إلاك».

وبقيت أدعو وتشهق أنفاسي وأنا أرتجف حتى توقف الصوت، ورفعت عيني في خوف أنظر فلم أجد ذلك الكيان ولا اللهب الأحمر، فقط مجرد كهف صخري عادي.. ثم رأيت أجمل ما يمكن أن ترى العين في هذا الحال. «سينوي» الملاك الموكل بي، الذي علمني كل شيء قبل أن ألقى آدم، رأيت بهائه يقف ويكاد يضيء روعي ذاتها، هرعت إليه في شدة يأسى، فخرج بي من براثن المكفيلة إلى أرض ذات مروج، ومن بين بكائي ولهفة قلبي سألته عن آدم، فأجابني:

- قد خرج آدم كما خرجت يا حواء.
- عسى ألا يكون الأذى قد طاله أو رأى كما رأيت في الكهف، مثل ذلك الذي كاد يفتك بي.
- ما كان ذلك ليؤذيك يا إيفا، إنما هو خازن أرواح الكفار يطردها إلى بئر «برهوت».

ابتلعتُ ريقِي في قلق، ليس بسبب حديثه عن ذلك الخازن، ولكن لأنني عرفت أن آدم في لحظته هذه قاب قوسين أو أدنى من الموت، عرفت ذلك من انقباض قلبي».

\*\*\*\*\*

«هبط آدم في أرض «دحنا» بين مكة والطائف وهبطت حواء قرب جدة، فتقدست تلك الأرض إلى يوم القيامة».

\*\*\*\*\*

يقول آدم:

«مئات من دواب الوحش يضربون الأرض بأقدامهم ويهرعون إليّ، تقلصت روحي من الخوف، مدت دواب الوحش أعناقها الطويلة ورؤوسها التي تشبه رؤوس الحيات، وحركت أعرافها التي تشبه الديكة في افتراس. ارتطامٌ أول رماني تحت أقدامهم ورؤوسهم التي تنطحني وأسنان أحدهم تطبق على ساقي، فارتخت أطرافني والحيوان يمسك بقدمي ويمزقها، تحاملتُ على نفسي ودفعت جسدي بين صخرتين، لكنني لم أستطع، سحبتنني الوحوش إلى الخارج. بقيتُ أقاوم وأضرب بقدمي حتى انتهت صفوف القطيع الحيواني الراكض في الأرض، واستشعرتُ تلك الحيوانات التي تهاجمني أنها بعيدة عن قطيعها فزمجرت وانطلقت لتلحق بالقطيع. استلقى جسدي ينبض من الألم والحزن وزاغت الصورة أمامي وتموهت، وشعرت كأنني أرى أحداً يمسك بقدمي، ضيّقت عيني وأطلقت ما تبقى من بصري لأميزه، عرفته من حضور روحه الطيبة، رازئيل.. ملاك السر. قلت له بضعف:

- هل كان ذلك قبرنا يا رازئيل؟

- يا آدم إن ربك خلق في جوف الأرض ما لا تعلم، يُقيِّضه ربك للكافرين، أما من آمن فيثبته ربه وينجيهِ، ولولا صفاء روحك ما رأيت شيئاً.

- خذني إلى حواء يا رازئيل.
- اتبع النهر حتى يوصلك إليها.
- النهر الذي...
- وغابت روعي عن الوعي».

\*\*\*\*\*

«الغباء أن تظن أنك الوحيد من نوعك».

\*\*\*\*\*

تقول حواء:

«في أرض جدة، خرجتُ أبحث عن ملجأ آمن أعيش فيه خارج كهف المكفيلة، ورأيت غارًا في أواسط الجبل بعيدًا عن منال الحيوانات المفترسة، بدأت أصعد الجبل بجسدي الضعيف، وبينما أنا أحاول التشبث بصخرة في الجبل وأجاهد حتى أصل إلى قمته، وبينما أضع يدي عند منتهى الصخرة، إذ رأيت أعلاها شيئًا أفرعني حتى كدت أسقط، فهناك عند حافة الصخرة وبجوار الموضع الذي تتمسك به يدي، رأيت قدم رَجُل، قدمًا بشرية.

صعدت عيوني المرتاعة ناظرة إلى الرجل من أسفله إلى أعلاه، رداء حسن يصل إلى منتصف الساق، جسد قمحي اللون، وجه وسيم وشعر بني، يقف بثقة وهو يُعاینني ببصره وأنا ساكتة تمامًا لا أَلْفِظ قولاً.



لم يكن شاحبًا كبقية الجن الذين رأيناهم في الجنة، كان بشريًا تمامًا  
قال لي:

- أنتِ حواء؟ إن صاحبكِ يبحث عنكِ.

دُهِشْتُ وقلت بلهفة:

- آدم! أين هو؟ ومن أنت؟ أفي الأرض بشر غيرنا؟

تبسم الرجل وقال:

- نعم، لقد خلقني ربي ووضعني في جنة شمالية، هناك خلف ذلك  
الجبل.

قلت له في تعجب:

- جنة أخرى؟

قال بثقة:

- نعم في أرض إريدو الواسعة، خلقني ربي فيها وخلق لي زوجي،  
ثم أنبأني أنه خلق إنسانًا غيري وأنه أخذ اثنين من أضلاعه وخلق  
منهما امرأتين، ثم طردهم جميعًا من الجنة الجنوبية لما عصوا  
أمره، وإني حزنت لهذا حزنًا شديدًا، فإني أعلم أن الشيطان لن  
يدعكما تعيشان يومًا هانئًا.

ابتلعتُ ريقِي من الدهشة وقلت:

- هل رأيت آدم؟

- نعم هو هناك، تعالي أصلكِ به قبل أن تصل إليه صاحبتكِ ليليث.

انقبض قلبي لما سمعت اسم ليليث، ولكنني تجاهلت هذا وسألت

الرجل:

- ما اسمك؟

نظر إليَّ وقال بعين فيها كثير من القوة:

- اسمي «هام».

وثب الرجل في خفة من تلك الصخرة إلى الأرض وقال:

- تعالي خلفي، من هناك بعد تلك الصخور سيأخذنا الطريق إلى صاحبك.

مشيت وراءه ولم أدرك من هو، ولو عرفت بقية اسمه وقتها لفهمت كل شيء، توقف «هام» فجأة واستدار لي وعلى وجهه ابتسامة تثير الريبة، ثم نزل صوت الكارثة على سمعي. نظرتُ خلفي برعب فرأيت صخرة لا أكاد أرى آخرها تسقط من أعلى الجبل بسرعة يستحيل على بشري أن يتفادها، ولم أر عين «هام» وهي تتوهج ناظرة إلى الصخرة التي دكَّت الأرض ودكَّت جسدي تحتها، ولم أره وهو يهرع إلى الصخرة ناظرًا ليتأكد حتى اطمأن أنني غبت تحتها وانقرضت من هذا العالم تمامًا. كان اسم ذلك الذي أتاني هو هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس».

\*\*\*\*\*

«أحبوا أجسادكم فهي ليست ملككم بل ملك من خلقها».

\*\*\*\*\*

تقول حواء:

«لم تروا وجهي يا بَنِيّ وأنا أنظر في هلع إلى صخرة كبيرة تنقض عليّ، أسقطها عليّ الجن، حتى دهستني تحتها، أو هكذا ظننت، كانت رحمة الله أوسع، فالطرف الذي نزل عليّ من الصخرة كان مجوفًا فحبسني تحته مثل القبة. ظلام دامس، ونقص في الهواء، حاولت دفع الصخرة بكل قوتي، لكن الأمر بدا وكأنك تحاول تحريك جبل، جلست في زعر ضامة ركبتيّ إلى صدري أرتجف وصوت الصمت يحيط بأذني، ولا أسمع أي شيء مما يحدث في الخارج. تأتيني ذكريات لا أدري لماذا تزورني الآن، عن تلك الأيام الأولى لما لقيت آدم قبل أن ندخل إلى الجنة،

أذكر صفاء وجهه في ذلك اليوم بينما نحن متربعين عند نهر عدن  
ونجوم السماء فوقنا تتلأأ، إذ نظر آدم إلى نجمة منها وقال:  
- أنا سأخذ تلك النجمة وأزين بها شعرك الجميل يا إيفا.  
ضحكتُ من كلامه ونظرت إلى السماء في تدلل وأشرت إلى نجمة  
أخرى:

- وأنا سأزين بتلك النجمة رداءك، انظر إن نجمتي أكبر.
- ضحك آدم كثيرًا، ونظرنا إلى النجوم ثم سألتُه:
- آدم، لماذا سميتها ليليث؟
- سكت آدم قليلًا ثم قال:
- لأنني رأيتهَا أول مرة في الليل، ما الذي دعاكِ لتسألي هذا الآن؟
- أتساءل أين ذهب الله بها؟
- هذه الشيطانة ستدبر أمرها.

نزل دمعي وأنا أتذكر، وعلمت أن موتتي هاهنا وحيدة، ومرّت  
الساعات الطوال وبدأ وعيي يغيب عني وأنفاسي تختنق، وكنت أسمع  
شيئًا يدق كأنه أت من بعيد، وصوتًا آخر كأنه صوت تكسر حجر، ولم  
يلبث بصري أن بدأ يميز بعض خيوط متسللة من ضوء القمر تبعثها  
نداءات آتية من بعيد تنادي باسمي، وبدأت أنفاسي تتحسن وكأن الهواء  
نفذ إلى عقلي، فأصبحت أكثر وعيًا بما حولي، وفتحت عيني بتثاقل، يا  
رب السماوات! هذا صوت آدم.

ارتفع صوت الدق والنداء فأصبحتُ أتلمس جدران الصخرة في لهفة  
وأنادي بصوت ضعيف باسم آدم، ولم تمض لحظات بعدها حتى بدأت  
الصخرة تتكسر، وبرز لي جسده المفتول تحت المطر يمسك بفأس  
من الصُّوان وقد شعث شعره وطالت لحيته كثيرًا وعيونه الحانية تنظر  
إليَّ في شوق، وفتح ذراعيه حتى ظننتُ أنهما وسعَتا المشرق والمغرب،

فهرعت إليه وقلبي ينبض برفق، فضمني حتى تحدث القلب للقلب،  
والتفت الروح بالروح، وسمعت النفس حسيّ النفس، ولو أن زلزالاً  
اندلع تحتنا ما افترقنا بعد هذه الضمة أبداً. كان الطين يُلطّخ جسدنا  
ووجهينا، فمشيت معه ودفء روحه يغمرني، حكيت له ما دار معي  
وحكى لي، وبقينا نتبع جدولاً من الماء حتى لاح لنا نهر قريب، نزلنا فيه  
لنغتسل، ولما شقَّ الفجر ستار السماء الأسود، حدث شيء مخجل جداً.

فجأة رأينا أجساداً خارجة من ذلك النهر، نساءً ورجالاً، عراة  
ليس عليهم أي شيء، خرجت رؤوسهم من النهر وبانت وجوههم ثم  
كامل أجسادهم، وبلا خجل أخذوا يصبون الماء على أجسادهم وهم  
يتضحكون، ثم نظروا إلينا وبدؤوا يمشون في الماء مقتربين منا، كانوا  
شياطين متمثلين، لم نكن نفهم أمر التمثل حينها، كل ما فعلناه أننا  
سارعنا هاربين من المكان كله، لم أصدق هذا الذي رأيته ولم أفهمه،  
كان آدم يضع كفيه على وجهه ويُسبّح ويستغفر، ثم سمعنا من ورائنا  
من يقول:

- فُجّر الجن غايتهم التخويف والإغواء، ولا أحد يقدر فيهم على  
أذيتكما، فلا تفزعا إذا رأيتما أحداً منكم.

نظرنا وراءنا فإذا هو رازئيل، فرحت قلوبنا برؤياه، وسألته:

- أيها الملاك المعلم، أيوجد جنة شمالية وأخرى جنوبية، وبشر  
غيرنا؟

- الشيطان يخطط الحق بالكذب يا حواء، إريدو غابة يسكنها بعض  
الجن، ولا بشر غيركما، إلا ليليث.

ثم نظر الملاك إلينا وقال:

- يا آدم، إن ربك يأمر بك بأمر عظيم.

استأذنتني الملاك وأمسك بكتف آدم وتنحّى به جانباً على غير العادة  
يبلغه رسالة ربه، اتسعت عينا آدم وهو يسمع من الملاك، ونظر آدم إليّ



بفجع ثم حوّل بصره، انقبض قلبي وأنا أنظر إليهما، وعرفت من آدم ما كان يقوله له ذلك الملاك حينها. كان يقول له:

- يا آدم إن ربك يأمرك أن تأتي امرأتك.

دُهِش آدم ولم يفهم، فحكى له الملاك أمورًا فاتسعت عيناه، قال له الملاك:

- يا آدم كما ربط الله بين رُوحيكما بالمودّة، فإنّه خلق في جسديكما رابطًا يربط بينهما، هذه فطرة الله، لكن الله يأمرك أن تؤتيها صداقها، ولن تتزوجها إلا بذلك.

- صداق؟! لكنها عندي أغلى من أي مقدار.

- الأمر ليس كلامًا تتكلمه، فابذل إليها أفضل ما تستطيع مما رزقك الله.

- لكن ليس عندي شيء.

- هناك وراء تلك الجبال أرض غنية بكل نفيس، فاذهب واكتسب لها خير ما تستطيع، فإن ربك كرّم الإنسان. الحيوان ينال أنثاه بلا شيء، لكن أن تبذل أفضل ما تستطيع لتنال أمرًا ما فهو غالٍ عندك».

\*\*\*\*\*

«عَرَفَ آدَمُ حَوَاءَ عَلَى الْجَبَلِ الْمُبَارَكِ فَسَمَّى عُرْفَهُ».

\*\*\*\*\*

يقول آدم:

«باركنا الله بالحمل، وأمرنا الملاك أن نعود إلى أرض عدن التي خلقنا ربنا عليها، والتي هي أخصب من بقية بقاع الأرض، أما الجنة فقد حُرِّمَتْ علينا إلى ما شاء الله. وفي ذلك اليوم كنا مرتحلين من عرفة إلى الشمال باتجاه أرض عدن، حتى أوقفنا أَلَم حَوَاءَ قَرِيبًا مِنْ نَهْرٍ

الأردن، تركتها في كهف قريب وانطلقتُ أجمع الثمار من المكان، وفي ساعة الغروب، خطوت خطوة في نهر الأردن وقد تشقت قدماي من جمع الثمار، وفكري منشغل بحواء الرقيقة التي تنتظر في الكهف، كم أصابها من أوجاع فيما مضى من الشهور، لم أكن أدري أن الحمل يهز أرجاء المرأة هزاً هكذا.

دخلت في نهر الأردن ووقفت والماء يغطي ركبتي، ورفعت ذراعي إلى السماء وناجيت ربي قائلاً: «يا من بثت الحياة في الأرض بأمرك، وخلقنتي منها، اغفر لنا سيئات ما صنعنا، فمن لهذه النفس إلا ربها ومولاها». وأخذت أبكي فتجمعت حولي أسماك وحيوانات البحر في حلقة، فنظرتُ إليها متعجباً من أمرها و... فجأة انقبض قلبي، وتألمت روحي، ولم أدِر لهذا سبباً، ثم اتسعت عيناى جزعاً وصرخت:

- حواء.

كان قلبي يشعر بها كأن روحي وروحها مطبوعتان على وجهي قلبي، فأخذت أهرول في النهر خارجاً.. كان الكهف بعيداً قليلاً عن ذلك النهر، مالت الشمس إلى الغروب، وأنا أغالب وعورة الأرض مسارعاً إلى الكهف، وكلما اقتربتُ منه زاد خفقان قلبي».

\*\*\*\*\*

«إنها القلوب يا علي إذا صفت رأت»

عمر الفاروق

\*\*\*\*\*

تقول حواء:

«كنت بداخل كهف صغير أنازع ألماً مضنياً وأوجاعاً تهاجمني فأصرخ وأتلوى على الأرض، تمنيت الموت في تلك اللحظة على مصارعة هذا الألم. كان هذا ألم المخاض، وكنت أنازع الطلق وحدي، أظلمت

روحي من الألم فلم أعد أشعر ولا أبصر إلا قليلاً كالضباب، ووسط آلامي  
المضنية لمحت ظلاً يقترب، فناديت بوهن:

- يا آدم إنني أموت.

تلوى جسدي فجأة إلى الخلف، وبدأ خروج أول طفل في هذا العالم،  
صرخت فأسمعت كل الكائنات، وشعرت بيد توضع على رقبتني، لكن  
شدة انتفاضتي أبعدت اليد، وخرج الطفل مني وسمعت بكاءه، ثم  
لاحظت سكوت الطفل عن البكاء، وظللت أشهق حتى غبت عن الوعي  
وهمدتُ على الأرض. لم أرَ حتى ذلك الطفل، ولم أرَ حينما سقط شيئاً من  
ضوء القمر على صاحب الظل وهو يحمل الطفل، لم يكن ذلك آدم، ولم  
يكن شيطاناً، بل كان كياناً ذا شفة حمراء، وشعر أحمر، وروح مملوءة  
بالمقت، كانت تلك ليليث.

\*\*\*\*\*

تقول حواء:

«في ذلك الكهف كنت أرقد والدماء تلتخ الأرض والجدار من حولي،  
وتكاد روحي تتشقق من شدة الألم، وكنت أرى رؤيا لم أفهمها.

«رأيت امرأة راقصة بين كثير من الرجال، والملك ينظر إليها في  
اهتمام، كان الملك يشبه آدم، ظلت ترقص حتى قال لها الملك: «اطلبي  
أي شيء مني، سأعطيك حتى نصف مملكتي»، فنظرتُ إلى الأرض في  
خجل وذهبتُ لتسأل أمها زوجة الملك التي تجلس بجواره، ظننتُ أنني  
-أنا حواء- سأكون الملكة التي تجلس بجوار آدم، لكنها لم تكن أنا،  
كانت امرأة تشبه ليليث».

ظلت الرؤيا تعبت بعقلي حتى أفقت، أبصرت آدم مقبلاً وقلبه  
مفجوع، نظر إليّ ثم إلى الدماء على الأرض، وشعرت في عينه بمصيبة،  
كان ينظر إلى ما يبدو في الظلام كأنه قطعة لحم ملطخة بالدماء،  
اقترب منها ومسها بيده مساً خفيفاً ثم انتفض متراجعاً في فجع وعيناه

ترتجفان وتحتبسان بالدم، وسقط على الأرض وهو يتراجع، ثم نظر إليَّ وهبَّ من سقطته مسرعًا ناحيتي. أقامني من بين دمائي وهو يربت على شعري وكنتفي في هلع، قلت له:

- يا آدم، انتنني بطفلي، لماذا لا أسمع صوت طفلي؟

شعرت بارتعاد يده على كتفي وهو يقول:

- لقد فاضت روحه.

وكأن مطرقة هوت بثقل الجبال على صدري، فقدت القدرة على النطق أو البكاء، ودفعت جسدي دفعًا ناحية ولدي، رأيته وفمه مفتوح ورأسه مائل إلى الوراء والدماء تلتطخه، لا يتحرك ولا يطرّف، وصرخت صرخة هزّت أرجاء الكهف.

كل شيء بعدها كان متساويًا عندي، أكلت أم جعت، مت أم حييت، أيام تمضي لا حظَّ لي فيها من أي شيء، ورغم أننا دخلنا أرض عدن فإنني كرهت كل شيء حتى الأرض التي أمشي عليها، ومرت الشهور بعد الشهور وحملت مرة ثانية، ولم يجد آدم مكانًا أكثر أمانًا نسكن فيه سوى كهف المكفيلة الذي أفزعنا بين برائنه يومًا، وكان يطمئنني دومًا أن ولادة الطفل الثاني في أرض عدن ستحميه، لأن الحيوانات هنا غير مفترسة. سكنا بين صخور المكفيلة ولبث آدم بجواري لا يفارقني إلا ليأتي بما يقيم صلبتي، وفي هذه المرة ولدت طفلة ضحكتها كانت أحلى ما رأيت في هذه الدنيا.

في اليوم التالي وجدتُ الطفلة مستلقية على وجهها، ففزعت وقمت أقلبها، ورأيت ذلك المنظر الذي ضرب قلبي في كمد، الفم المفتوح، الجسد الساكن بلا حياة، واهتزت أوصالنا ونحن نبكي في ذلك الكهف، كانت الأرض قاسية جدًّا علينا، شعرنا أن أولئك الأطفال شيء هشُّ جدًّا، يموتون عند أي نقص في الطعام أو حتى الهواء، لكن قلبي لم يرتح لهذا، حتى أتى ذلك اليوم. كنت قد حملت للمرة الثالثة، ولكن الحمل هذه المرة كان خفيفًا

وليس قاسياً مثل المرات التي قبله، وألححت على آدم أنني لن أقدر على العيش في كهف المكفيلة هذا يوماً آخر، وأنني أريد ولادة طفلي الثالث عند تلك الصخرة التي احتضنتني عندها لما سقطت عليّ، بطريقة ما كنت أشعر بالأمان عندها، ورغم أنها خارج أرض عدن فإن آدم لم يجادلني، ارتحلنا وجعلنا مبيتنا تحت تلك الصخرة، وآدم كل يوم يذهب إلى موضع قريب من الأرض يبحث فيه ويعود سريعاً حتى لا يتركني وحدي، وفي ذلك اليوم وبينما آدم في جولته، دخل عليّ آخر كائن أود رؤيته أو يود أي أحد رؤيته؛ لوسيفر الشيطان الإبليس بطلته المتعالية، قال لي:

- ماذا ستسمين ولدك؟

قلت له بغضب:

- اذهب من هنا.

أمال رأسه وهو يقول:

- ولدك القادم، سمّه عبد الحارث، وإن كانت بنتاً سمّها أمة الحارث.

كدت أقوم عليه وأمحوه من الوجود، لو يعلم قدر الغضب الذي في نفسي ما أتى هاهنا أمام وجهي، قلت له:

- انصرف يا رجيم، كفاك حوماً حولنا، سمعنا منك مرة فأخرجتنا

مما كنا فيه، فإذهب من أمام وجهي، فلو تحدثت بكل طريقة في الأرض لن ننظر إليك.

بدأت عين لوسيفر تتحول من نظرتة الخبيثة الأولى إلى نظرة مخيفة، وقال بطريقة أرعبت قلبي:

- لستُ هنا لأغويك، فلقد أغويتك وأخرجتك من المجد، أنا هنا

أقول لك: سمّه عبد الحارث حتى يعيش، فإن لم تفعلني.. سيلحق بإخوته وستشهدين دماءه.

انكتم صوتي وأنا أسمع، هل أطفالك كانوا يُقتلون؟!..

\*\*\*\*\*

«أنت تأكل بأمر الشيطان، تسرق بأمر الشيطان،  
حتى إنك تهب أطفالك للشيطان».

\*\*\*\*\*

يقول آدم:

«كان الغضب يسري في عروقي وأنا أقول:

- إذن «هامة بن الهيم» كان من أبنائك يا صاحب الوجه الكريه.

نظر إبليس وراءه، فرآني واقفًا عند مدخل الصخرة وفي يدي رمح خشبي عظيم صنعته من الشجر، همَّ إبليس بالحديث فرفعت رمحي أريد أن أقتله، فقال لي إبليس:

- ألم يُعَلِّمك صاحبك الملاك أنك لا تقدر أن تمسّني بأذى؟ فأنا جن.

احمرَّ وجهي وأنا أصرخ فيه:

- لماذا تبغضنا لهذه الدرجة يا رجيم؟ أتحارب كل مخلوقات الله هكذا، أم أننا الوحيدان اللذان تحاربهما؟

قال إبليس بسرعة:

- ولا أحارب غيركما، إنه العدل، لقد أخرجتكما من السعادة كما أخرجتmani من ملكوت ربي.

- ما رأيُناك منذ خلقنا ربنا إلا كارهاً حقيراً.

اقترب إبليس مني ببطء مخيف وهو يقول:

- أنت حتى لا تدري ماذا فعلت بي، ولو علمت لدفنت رأسك في هذا الطين المهين الذي خُلقت منه، أنت أخذت كل شيء مني قبل حتى أن توجد.

صحت فيه:

- عمَّ تتحدث يا كريه؟!

نظر إبليس إليّ بكره وقال:

- لمّا نفخت الروح في طينتك النتنّة، رفضت أنا السجود لك وأنا  
أمير النور، فأخرجني ربي من الجنة، كأني أقول لك أيها الإنسان  
اسجد ناحية هذا القرد فإن جنسه سيعمر الأرض معك.  
قلت له بحزم:

- لو أمرني الله أن أسجد ناحية قرد فإنني سأفعل، وسأضع يدي في  
يده ونصلح في الأرض بأمر ربنا.

غضب إبليس وظهرت البغضاء في وجهه، وقال:

- كائن مهين مثلك لم يذُق نعمة الملائكة الأعلى يجب أن يقول هذا  
الكلام.

صرخت فيه بغضب:

- انصرف من هنا يا كريه وابحث عن حيلة أخرى غير اسم عبد  
الحارث هذا.

قال الشيطان بعيون مخيفة:

- نحن نعرف كيف نوسوس للحيوانات والوحوش، ولن يولد لك ولد  
إلا مزقته الحيوانات إربًا.

وانصرف إبليس تاركًا مشهدًا من الصمت كسرته حواء بأن قالت  
فجأة:

- سأسميه كما يقول.

اتسعت عيناها بغضب، وعلا صوتنا بالخصومة والخلاف، وخرجت  
من عند حواء أغلي بالغضب، وذهبتُ إلى نهر قريب لعله يُهدئ من  
غضبي بطيب منظره، وفجأة برزت أمامي.. نظرتُ إليّ بوجه مشتاق،  
والهواء يحرك شعرها وثوبها؛ ليليث، المرأة الأولى، والقاتلة الأولى..

\*\*\*\* تمت \*\*\*\*

أشعل لويب سيجارة رديئة وأمسكها بأصابع ترتجف من التوتر مما سمع، ثم تمالك نفسه ونفث دخانها في وجه بوبي وهو يقول:

- قل لي يا لعين، لماذا يريدون إعدامك لهذه الدرجة؟ لماذا صدر لجميع أعضاء التنظيم أمر بقتلك على الفور فور رؤيتك؟ سكت بوبي وإحدى عينيه ترمش كل ثانيتين، ثم نظر إلى الأرض وقال:

- لقد علمت أمورًا لا ينبغي لأحد معرفتها، فإذا نقلتها إليكما احرصا أن تخفيها في طيات نفسيكما وإلا انتهى بكما الأمر مثلي. ضيق لويب عينيه ونفث دخان سيجارته في تلذذ وقال:

- كلنا أذان مصغية.

بدا على وجه بوبي شيء من التردد، ثم قال:

- إنني على وشك أن أخبركما بشيء ممنوع من السرد ولو على سبيل الكلام العادي، لأنه لو بدا على أي سطح سيقلب كل ظنون الناس التاريخية والجغرافية والدينية، وربما يقلب الناس بعضهم ضد بعض.

قال له لويب بهدوء:

- أتقصد مكان جنة عدن؟

أوماً بوبي برأسه إيجاباً وقال:

- تعلمان أن التوراة وضعت للناس مفتاحًا صغيرًا للبحث عن هذه الجنة لما قالت إن أرضها ملتقى أربعة أنهار، الفرات والنيل وسيحون وجيحون، وأنهم كلهم يخرجون من نهر واحد سماه الأحبار نهر الحياة لأن شجرة الحياة تقف على ضفافه، طبعًا الفرات والنيل هما فقط المعروفان، أما النهران الباقيان فغريبان



ولا وجود لهما في عالمنا المعاصر، فبدأ الجميع البحث من نهر النيل والفرات.

قال لويب بسرعة:

- كثيرًا ما أسمع عن صائدي الكنوز وهم يبحثون عن عدن ويحاولون تركيب النهرين الغربيين الأخيرين على أي من الأنهار الموجودة اليوم، لكن جهودهم ذهبت بلا نتيجة.

قال بوبي وهو يحدق إليه:

- جنة عدن طُرد منها أبوانا لأنهما أخطأ خطأ واحدًا، هل من المنطق أن تكون أرضًا نعرفها ونسكن عليها اليوم بكل ذنوبنا وخطايانا؟ طبعًا هذا مستحيل، ورغم هذا خرج كل باحث بنظرية وأصبحت مواضعهم المحتملة لجنة عدن كلها تدور حول العراق والشام وتركيا، يعني منطقة حوض البحر المتوسط، حتى برزت أمام حكماء تنظيمنا نصوص قلبت كل الموازين رأسًا على عقب، وحُلَّت المعضلة حلًّا لم ينتبه إليه أحد.

نظر إليه لويب بتحفز فأكمل بوبي:

- نصوص من سُنَّة محمد نبي الإسلام، كان محمَّد في رحلة المعراج، فوصل بعد السماء السابعة إلى شجرة عظيمة اسمها «سدرة المنتهى»، ورأى من عندها الجنة العظيمة التي سيدخل فيها الصالحون في الآخرة، ما يلفت النظر هو أنه وجد شجرة سدرة المنتهى هذه رابضة على نهر عظيم تخرج منه أربعة أنهار، النيل والفرات وسيحان وجيحان، لاحظ، لدينا هنا أيضًا جنة وشجرة وأربعة أنهار، النيل والفرات وسيحان وجيحان.

قال له ليوبولد بصوته ذي البحة:

- شيء عادي، الأديان تنقل من بعضها بعضاً، بل إن هذا قد يثبت لأهل الإسلام أن جنة آدم التي فيها الشجرة والأنهار الأربعة هي نفسها جنة الآخرة فوق السماء السابعة.

قال له بوبي بسرعة:

- كان هذا ليكون لولا أن محمداً نفسه قال في حديث صحيح آخر: إن أربعة أنهار تفجرت من الجنة؛ نيل مصر والفرات وسيحان وجيحان. فتبين أنه يتحدث عن أنهار في الأرض، لأنه قال نيل مصر، وهذا معتاد في كلام محمد، فروضته في حرمة الشريف هي روضة من رياض الجنة، وهذه الأنهار هي أنهار من الجنة، وكان هذا هو المفتاح الذي حل اللغز كله.

نظر إليه الأخوان بعدم فهم، فقال:

- سيحون وجيحون اللذان في التوراة ليسا موجودين على الخرائط أصلاً، في حين أن (سيحان) و(جيحان) هما نهرا كبيران متوازيان معروفان وموجودان في تركيا ينزلان ليصبّا في البحر المتوسط، فكما أن هذه الأنهار الأربعة موجودة في جنة الآخرة فهي أيضاً موجودة على الأرض، وكما أن في الآخرة جنة فعلى الأرض جنة هي جنة آدم.

قال لويب وملامحه تنوء بالتفكير:

- هذا كما كانوا يُلقنوننا في التنظيم، «كل ما هو بالأعلى هو بالأسفل»، أنت تريد أن تقول إن الأمر كان سوء ترجمة من التوراة العبرية لكلمة سيحون وجيحون، وأن اسمهما الحقيقي سيحان وجيحان اللذان في تركيا؟ لكن تظل المشكلة، النيل في مصر والفرات في العراق وسيحان وجيحان في تركيا ويستحيل التقاؤهم في أي مكان، فهم يصبون في البحر المتوسط، إلا الفرات يصب قريباً جداً منه.

سكت بوبي تمامًا وهو يتمتم وعينه شاردة:

- نعم.. نعم.. هذه هي المشكلة.

قال ليوبولد بعصبية:

- انطق أيها اللعين، أين تلك الجنة بالضبط؟ لقد نفذ صبري عليك.

اجتاح الصمت ملامح بوبي وأخذ يرمش بعينه وينظر حوله نظرات غير طبيعية، ولم يردّ، كأنه يستثقل أن يُعلن سرًّا مثل هذا لشخصين مثلهما، قام ليوبولد من مكانه وقال بغضب:

- هذا اللعين لا يتفاعل معي يا لويب.

فجأة وضع ليوبولد كف يده خلف رقبة بوبي ودفع رأس بوبي بكل قوة إلى الأرض فاصطدم بعنف، فصرخ بوبي في ألم ودارت عيناه في محجريهما، وعلى الفور قفز لويب ودفع ليوبولد بقسوة شديدة وهو يصرخ فيه:

- اهدأ أيها الأحق، هذا الفتى مصاب بالتوحد.

قال ليوبولد بغضب:

- وما الفارق إن كان حتى مصابًا بالجنون.

دفعه لويب في صدره وهو يقول:

- يعني أن عقله ذا قدرات لا يملكها رأسك اللعين العادي، ورأسه هو الكنز الوحيد الذي نملكه هنا، فافعل فيه أي شيء لكن ابتعد عن الرأس.

توجه لويب إلى بوبي وأقامه برفق وهو يمسح رأسه ليتأكد من عدم وجود دماء، وقال له:

- لا عليك تحدث معي أنا، أعدك.. لن نوّذك ما دمت تتحدث، وفي

النهاية إذا قلت كل شيء سنطلقك إلى الحرية، قل لي.. أين تلك

الجنة بالضبط؟

وضع بوبي يده على رأسه متألماً وسكت دقائق طويلة حتى هدأ احمرار وجهه، وقال بتثاقل:

- الفئة التي عرفت.. حل اللغز.. لم يكونوا علماء دين.. ولا مستكشفين أو مغامرين...

أمسك بوبي رأسه في ألم وسكت قليلاً، فسحب ليوبولد زناد مسدسه فقال بوبي:

- ... علماء الجيولوجيا هم الذين كشفوه، هم قالوا إن البحر المتوسط في قديم الزمان كان أرضاً عادية، وأن هذه الأنهار الأربعة كانت تجري في أرضه يوماً، باختصار جنة عدن الغامضة هذه إنما كانت روضة غناء أو حديقة داخل أرض المتوسط القديمة، التي كانت تلتقي فيها الأربعة أنهار.

صمت مطبق ساد بعد جملة بوبي الأخيرة، وهُرع ليوبولد إلى الكمبيوتر المحمول وكتب بعض الأمور بسرعة، وظل لويب صامتاً وبوبي يقول:

- لما طُرد آدم وحواء من الجنة.. عاشا هما وأولادهما على أرض المتوسط الشاسعة، التي سموها أرض عدن، وتبعهم بقية الأنبياء حتى نوح، عشرة أنبياء تجهل كل الأديان هوية الأرض التي كانوا فيها، والحقيقة أنها هي أرض المتوسط، ثم غرقت تلك الأرض كلها بفيضان عظيم هو فيضان نوح، وأصبحت بحرًا هو البحر المتوسط.

رفع ليوبولد رأسه عن الكمبيوتر وهو يقول:

- هذا اللعين يتحدث بالحق يا لويب، تأكدت الآن أن مضيق جبل طارق انغلق في زمان قديم فتبخرت مياه المتوسط كلها وتصحرت أرضه ثم جرت الأنهار فيها واخضرَّت وعاشت عليها

الكائنات، ثم حدث فيضان عظيم كارثي اسمه فيضان زانكلون  
أغرق أرض المتوسط فأصبحت بحرًا.

قال لويب بعين متسعة:

- يا إلهي.. إذن فيضان زانكلون هذا هو فيضان نوح، هذا ينير  
بعض النقاط المظلمة.

قال ليوبولد وهو ينظر إلى الكمبيوتر بتركيز:

- الأخبار ما زالت تجوب الصحف، يا لويب، عن اختفاء هذا اللعين،  
يوجد خبر بأن أباه يعقوب فرانك أعلن مكافأة لمن يعثر على  
ابنه، أرايت هذا العته يا لويب؟ يعقوب فرانك يطلب في الخفاء  
قتل ابنه وفي العلن يعلن مكافأة لمن يجده.

ابتسم لويب بسخرية في حين تنهّد بوبي فرانك، وضيق عينيه وكأنه  
يتذكر أمرًا سيئًا، ثم قال دون أن يسأله أحد:

- إنني أذكر شيئًا وجدته في صومعة والدي أدار رأسي وأضاف إلى  
حكاية أرض المتوسط هذه أبعادًا أكثر خطرًا من كل ما قلته.

استدار له الأخوان وهو يقول ببطء:

- توجد أرض أخرى غارقة، عانى المستكشفون في البحث عنها  
عبر عقود طويلة، ليست مجرد أرض بل قارة كاملة غارقة، أنتما  
سمعتما عنها وتعرفانها وربما بحثتما عنها أيضًا، قارة كاملة  
مفقودة، كل المواضيع المحتملة لها تدور حول منطقة حوض  
المتوسط.

- أتلانتيس

قالها لويب بتلقائية وبوبي يكمل:

- نعم.. أفلاطون قال عن أتلانتيس إنها أرض كبيرة تقع عند البحر  
المتوسط، وإن حجمها ضخم جدًا كأنها قارة.. وإنه عاش عليها

(عشرة) ملوك عظام كلهم أبناء ملك واحد، وإنه كانت فيها (أربعة) مجارٍ مائية كبيرة، ثم انتهى عصرها (بفيضان) عظيم أغرق أرض أتلانتيس كلها.

نظر بوبي إلى تحفز الأخوين وهو يقول:

- أرض مجهولة عند المتوسط، واحدة اسمها عدن هي أصل البشرية والأخرى اسمها أتلانتيس هي أصل الحضارة، عشرة أنبياء هناك، وعشرة ملوك هنا، أربعة أنهار هناك وأربعة مجارٍ مائية هنا، فيضان نوح هناك وفيضان أتلانتيس هنا، وفيضان زانكلون هناك، هل بدأتما تفهمان؟

أشعل لويب سيجارة أخرى بعد أن تراكم رماد السيجارة الأولى التي لم يجد الوقت ليشربها، فنظر بوبي إلى الدخان المنبعث من السيجارة وهو يقول:

- في التوراة حدث فيضان نوح لأن الرب غضب على أبناء الله (الملائكة) لما تزوجوا مع بنات الناس (البشر)، وفي كلام أفلاطون فيضان أتلانتيس حدث لأن الإله زيوس غضب على الآلهة لما تزوجت مع بنات البشر، هل فهمتما الآن؟ إما أن أفلاطون قد سرق من التوراة، وهذا يعني أن أتلانتيس هي نفسها أرض عدن، وإما أن أفلاطون والتوراة كانا يتحدثان عن أرض حقيقية وحضارة حقيقية عاشت يوماً على أرض المتوسط.

قال لويب من وراء دخانه:

- توجد أماكن كان يظنها الناس أساطير ثم تبين أنها حقيقية بالفعل، مثل: طروادة ومتاهة المينوطور، كلها أساطير عاشت عصوراً وسط سطور وخيالات الناس حتى اكتشف الباحثون وجودها بالفعل، وأتلانتيس لقنونا في التنظيم أنها حقيقية بالفعل، لكنهم لم يخبرونا أبداً بمكانها.

قال له بوبي:

- عدن هي أتلانتيس، وهي أرض الأنبياء الأوائل وأصل البشرية وأصل الحضارة، وهي أرض المتوسط، ودعني أخبرك أن البحر المتوسط اليوم تتنازع عليه كل الدول التي حوله لأنهم اكتشفوا فجأة أن أرضه مليئة بالغاز الطبيعي، وهم لا يدرون أن هذا الغاز الوفير اختمر هناك لأن حضارة عظيمة من البشر والحيوانات عاشت على أرضه لآلاف السنين، تخيل لو علموا أن أرضه هذه إنما هي أرض مقدسة عند الأديان الثلاثة، وأن فيها أصل البشرية وأن فيها أتلانتيس، سيكون نزاعاً لن تعرف كيف توقفه.

قال ليوبولد ببعض الشك:

- لكن كهف المكفيلة هذا مخرجه موجود بالفعل في إسرائيل، واسمه مغارة البطاركة، وهو مكان مقدس مدفون فيه إبراهيم وإسحق ويعقوب، كيف تقول القصة إنه كان في عدن التي هي أتلانتيس؟

تنهّد بوبي وأغمض عينيه وفتحهما بلا مبرر وقال:

- بالفعل يوجد مخرج لكهف مكفيلة في فلسطين بالجامع الإبراهيمي، وهو مزار للمسلمين واليهود، لكن مكفيلة ليست كهفًا واحدًا بل شبكة كاملة من الكهوف المتشعبة تبدأ تحت أرض أتلانتيس في المتوسط وتصل حتى أرض الشام، ثم تصل من أرض الشام إلى الجزيرة العربية، وهي مغارات وكهوف تحت الأرض العربية أعظم من متاهة المينوطور، ولا أحد يدري كيف تكونت.

قال ليوبولد:

- لقد حق لهم أن يبحثوا عنك بكل هذه الלהفة، هلم، ألقِ إلينا بالقصة التالية، وأنت حتى الآن تجاوزت جولتين، أتدري ما المثير في

لعبتنا هذه يا بوب؟ أنك لا تدري شيئاً عن درجتنا في المنظمة،  
ولو أمسكنا بك تقول شيئاً نعرفه ستكون نهايتك.  
أخرج بوبي مجموعة الكروت التالية وبدأ يضعها بسرعة على الطاولة  
وهو ينظر إلى التسجيل في الكمبيوتر ثم يقول:  
- لست أنا من سيتكلم هذه المرة.. بل هو.  
اعتدل ليوبولد ونظر ناحية بوبي وقال:  
- أي لعبة قذرة تود أن تلعب يا هذا؟  
تمتم بوبي ببضع كلمات ويده ترتعش فوق الكروت الجديدة، فقال  
ليوبولد:

- هذا اللعين يا لويب، إنه يستحضر كياناً ما.  
تحفز لويب، وقال بوبي بتوتر:  
- ما سيتلو من أحداث لا يقدر أن يسرده سوى شيطان، وليس أي  
شيطان، بل هو مولوك.  
قال ليوبولد بفزع:  
- يا إله السماء.. مولوك الذي...  
قاطعه بوبي:  
- إنه هو.

فجأة توقفت المروحة في السقف توقفاً مفاجئاً غير طبيعي بالمرة،  
وانطفأ النور؛ فأظلم المكان كله كأنه الكحل، وتصاعدت دقات القلوب..  
حتى حضر مولوك، وأسقط الكمبيوتر المحمول نوراً خافتاً على الكروت  
التي وضعها بوبي.. وكانت خمسة.

الورقة الأولى تُظهر رجلاً أسمر وامرأة شقراء يرتديان ثياباً فاخرة  
ويبدو أنهما تزوجا، أسفلهما صورة طفلين أحدهما أسود والآخر أبيض،



في زوايا الورقة بعض التفاصيل كغراب ينطق وامراتان تحتل كل منهما زاوية، ووسط كل هذا تبرز أيادي شيطان كأنه يحرك الأحداث.

والورقة الثانية هي ورقة الأخ الصامت، وعليها فتى وسيم جالس مستندًا إلى سيفه، ويبدو أنه لا يفكر في أمر خير.

والثالثة هي ورقة الرجل المُلْعَق، وعليها رجل مُلْعَق من قدم واحدة في شجرة بوضع غريب.

الرابعة هي ورقة الحُكْم، وعليها صورة ملاك مهيب يهبط من السماء بحكم قاسٍ.

أما الورقة الأخيرة فهي ورقة الموت، وعليها الهيكل الشهير الذي يرتدي عباءة ويحصد الأرواح.